تفسير إبن كثير

لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ

وقوله : (لا تقم فيه أبدا) نهي من الله لرسوله ، صلوات الله وسلامه عليه ، والأمة تبع له في ذلك ، عن أن يقوم فيه ، أي : يصلي فيه أبدا .ثم حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بنائه على التقوى ، وهي طاعة الله ، وطاعة رسوله ، وجمعا لكلمة المؤمنين ومعقلا وموئلا للإسلام وأهله ؛ ولهذا قال تعالى : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه) والسياق إنما هو في معرض مسجد قباء ؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " صلاة في مسجد قباء كعمرة " . وفي الصحيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يزور مسجد قباء راكبا وماشيا وفي الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بناه وأسسه أول قدومه ونزوله على بني عمرو بن عوف ، كان جبريل هو الذي عين له جهة القبلة فالله أعلم .وقال أبو داود : حدثنا محمد بن العلاء ، حدثنا معاوية بن هشام ، عن يونس بن

الحارث ، عن إبراهيم بن أبي ميمونة ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضي االله عنه ، عن النبي صلى االله عليه وسلم قال : " نزلت هذه الآية في أهل قباء : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) قال : كانوا يستنجون بالماء ، فنزلت فيهم الآية .ورواه الترمذي وابن ماجه ، من حديث يونس بن الحارث ، وهو ضعيف ، وقال الترمذي : غريب من هذا الوجه .وقال الطبراني : حدثنا الحسن بن علي المعمري ، حدثنا محمد بن حميد الرازي ، حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، عن الأعمش ، عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) بعث رسول االله صلى االله عليه وسلم إلى عويم بن ساعدة فقال : " ما هذا الطهور الذي أثنى االله عليكم ؟ " . فقال : يا رسول االله ، ما خرج منا رجل ولا امرأة من الغائط إلا غسل فرجه - أو قال : مقعدته - فقال النبي صلى االله عليه وسلم . " هو هذا " .وقال الإمام أحمد : حدثنا حسين بن محمد ، حدثنا أبو أويس ، حدثنا شرحبيل ، عن عويم بن ساعدة الأنصاري : أنه حدثه أن النبي صلى االله عليه وسلم أتاهم في مسجد قباء ، فقال : " إن االله تعالى قد أحسن [عليكم الثناء] في الطهور في قصة مسجدكم ، فما هذا الطهور الذي تطهرون به ؟ " فقالوا : واالله

- يا رسول االله - ما نعلم شيئا إلا أنه كان لنا جيران من اليهود ، فكانوا يغسلون أدبارهم من الغائط ، فغسلنا كما غسلوا .ورواه ابن خزيمة في صحيحه .وقال هشيم ، عن عبد الحميد المدني ، عن إبراهيم بن إسماعيل الأنصاري : أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال لعويم بن ساعدة . " ما هذا الذي أثنى االله عليكم : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا واالله يحب المطهرين) قالوا : يا رسول االله ، إنا نغسل الأدبار بالماء .وقال ابن جرير : حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، حدثنا محمد بن سعد ، حدثنا إبراهيم بن محمد ، عن شرحبيل بن سعد قال : سمعت خزيمة بن ثابت يقول : نزلت هذه الآية : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا واالله يحب المطهرين) قال : كانوا يغسلون أدبارهم من الغائط .حديث آخر : قال الإمام أحمد بن حنبل : حدثنا يحيى بن آدم ، حدثنا مالك - يعني : ابن مغول - سمعت سيارا أبا الحكم ، عن شهر بن حوشب ، عن محمد بن عبد االله بن سلام قال : لما قدم رسول االله صلى االله عليه وسلم ، يعني : قباء ، فقال : " إن االله ، عز وجل ، قد أثنى عليكم في الطهور خيرا ، أفلا تخبروني ؟ " . يعني : قوله تعالى : (فيه رجال يحبون أن يتطهروا واالله يحب المطهرين) فقالوا : يا رسول االله ، إنا نجده مكتوبا علينا في التوراة :

الاستنجاء بالماء .وقد صرح بأنه مسجد قباء جماعة من السلف ، رواه علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس . ورواه عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري ، عن عروة بن الزبير . وقاله عطية العوفي ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، والشعبي ، والحسن البصري ، ونقله البغوي عن سعيد بن جبير ، وقتادة .وقد ورد في الحديث الصحيح : أن مسجد رسول االله صلى االله عليه وسلم الذي هو في جوف المدينة ، هو المسجد الذي أسس على التقوى . وهذا صحيح . ولا منافاة بين الآية وبين هذا ؛ لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم ، فمسجد رسول االله صلى االله عليه وسلم بطريق الأولى والأحرى ؛ ولهذا قال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده :حدثنا أبو نعيم ، حدثنا عبد االله بن عامر الأسلمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد ، عن أبي بن كعب : أن النبي صلى االله عليه وسلم قال : " المسجد الذي أسس على التقوى مسجدي هذا " . تفرد به أحمد .حديث آخر : قال الإمام أحمد : حدثنا وكيع ، حدثنا ربيعة بن عثمان التيمي ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سهل بن سعد الساعدي قال : اختلف رجلان على عهد رسول االله صلى االله عليه وسلم في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد

رسول االله صلى االله عليه وسلم . وقال الآخر : هو مسجد قباء .فأتيا النبي صلى االله عليه وسلم فسألاه ، فقال : " هو مسجدي هذا " تفرد به أحمد أيضا .حديث آخر : قال أحمد : حدثنا موسى بن داود ، حدثنا ليث ، عن عمران بن أبي أنس ، عن سعيد بن أبي سعيد الخدري ، رضي االله عنه ، قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال أحدهما : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد النبي صلى االله عليه وسلم ، فقال النبي صلى االله عليه وسلم : " هو مسجدي هذا " تفرد به أحمد .طريق أخرى : قال الإمام أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا ليث ، حدثني عمران بن أبي أنس ، عن ابن أبي سعيد ، عن أبيه أنه قال : تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم ، فقال رجل : هو مسجد قباء ، وقال الآخر : هو مسجد رسول االله صلى االله عليه وسلم ، فقال رسول االله صلى االله عليه وسلم : " هو مسجدي " .وكذا رواه الترمذي والنسائي عن قتيبة ، عن الليث وصححه الترمذي ، ورواه مسلم كما سيأتي .طريق أخرى : قال أحمد : حدثنا يحيى ، عن أنيس بن أبي يحيى ، حدثني أبي قال : سمعت أبا سعيد الخدري قال : اختلف رجلان : رجل من بني خدرة ، ورجل من بني عمرو بن عوف

في المسجد الذي أسس على التقوى ، فقال الخدري : هو مسجد رسول االله صلى االله عليه وسلم ، وقال العمري : هو مسجد قباء ، فأتيا رسول االله صلى االله عليه وسلم فسألاه عن ذلك ، فقال : " هو هذا المسجد " لمسجد رسول االله صلى االله عليه وسلم ، وقال : " في ذاك [خير كثير] يعني : مسجد قباء .طريق أخرى : قال أبو جعفر بن جرير : حدثنا ابن بشار ، حدثنا يحيى بن سعيد - حدثنا حميد الخراط المدني ، سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن بن أبي سعيد فقلت : كيف سمعت أباك يقول في المسجد الذي أسس على التقوى ؟ فقال أبي : أتيت رسول االله صلى االله عليه وسلم فدخلت عليه في بيت لبعض نسائه ، فقلت : يا رسول االله ، أين المسجد الذي أسس على التقوى ؟ قال : فأخذ كفا من حصباء فضرب به الأرض ، ثم قال : " هو مسجدكم هذا " . ثم قال : [فقلت له : هكذا] سمعت أباك يذكره ؟ .رواه مسلم منفردا به عن محمد بن حاتم ، عن يحيى بن سعيد ، به ورواه عن أبي بكر بن أبي شيبة وغيره ، عن حاتم بن إسماعيل ، عن حميد الخراط ، به .وقد قال بأنه مسجد النبي صلى االله عليه وسلم جماعة من السلف والخلف ، وهو مروي عن عمر بن الخطاب ، وابنه عبد االله ، وزيد بن ثابت ، وسعيد بن المسيب . واختاره

ابن جرير .وقوله : (لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا واالله يحب المطهرين) دليل على استحباب الصلاة في المساجد القديمة المؤسسة من أول بنائها على عبادة االله وحده لا شريك له ، وعلى استحباب الصلاة مع جماعة الصالحين ، والعباد العاملين المحافظين على إسباغ الوضوء ، والتنزه عن ملابسة القاذورات .وقد قال الإمام أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن عبد الملك بن عمير ، سمعت شبيبا أبا روح يحدث عن رجل من أصحاب النبي صلى االله عليه وسلم ؛ أن رسول االله صلى االله عليه وسلم صلى بهم الصبح فقرأ بهم الروم فأوهم ، فلما انصرف قال : " إنه يلبس علينا القرآن ، إن أقواما منكم يصلون معنا لا يحسنون الوضوء ، فمن شهد الصلاة معنا فليحسن الوضوء " .ثم رواه من طريقين آخرين ، عن عبد الملك بن عمير ، عن شبيب أبي روح من ذي الكلاع : أنه صلى مع النبي صلى االله عليه وسلم ، فذكره فدل هذا على أن إكمال الطهارة يسهل القيام في العبادة ، ويعين على إتمامها وإكمالها والقيام بمشروعاتها .وقال أبو العالية في قوله تعالى : (واالله يحب المطهرين) إن الطهور بالماء لحسن ، ولكنهم المطهرون من الذنوب .وقال الأعمش :

التوبة من الذنب ، والتطهير من الشرك .وقد ورد في الحديث المروي من طرق ، في السنن وغيرها ، أن رسول االله صلى االله عليه وسلم قال لأهل قباء : " قد أثنى االله عليكم في الطهور ، فماذا تصنعون ؟ " فقالوا : نستنجي بالماء .وقد قال الحافظ أبو بكر البزار : حدثنا عبد االله بن شبيب ، حدثنا أحمد بن محمد بن عبد العزيز قال : وجدته في كتاب أبي ، عن الزهري ، عن عبيد االله بن عبد االله ، عن ابن عباس قال : نزلت هذه الآية في أهل قباء . (فيه رجال يحبون أن يتطهروا واالله يحب المطهرين) فسألهم رسول االله صلى االله عليه وسلم فقالوا : إنا نتبع الحجارة الماء .ثم قال : تفرد به محمد بن عبد العزيز ، عن الزهري ، ولم يرو عنه سوى ابنه .قلت : وإنما ذكرته بهذا اللفظ لأنه مشهور بين الفقهاء ولم يعرفه كثير من المحدثين المتأخرين ، أو كلهم ، واالله أعلم .